



مُسْتَحْيَا الدِّينِ
فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشِرِ

دَارُطَبْعَةِ الْوَحْيِ

١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٧ م



دِرَاسَاتُ وَبُحُوثُ فِي الْأَدْيَانِ (١)

مُسْتَهْدِرُ الدِّينِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

مَفْهُومُهُ وَدَلَالَتُهُ عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

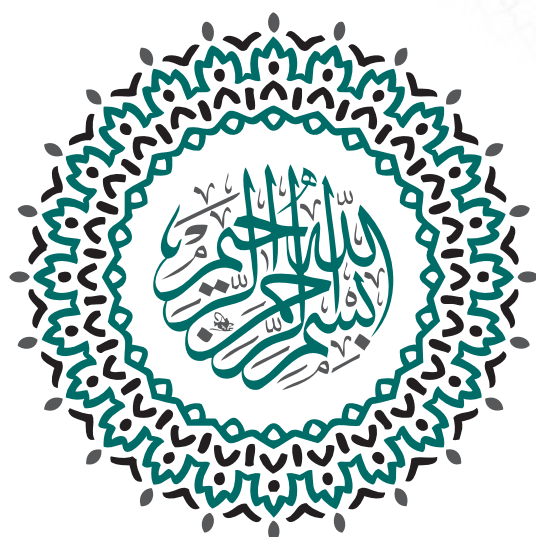
تَأَلَّفَ

حَسَنُ بْنُ أَهْمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الدُّرَيْجَانِ

الْأَسْتَاذُ فِي قِسْمِ الدَّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِجَامِعَةِ حَائِلَ

الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

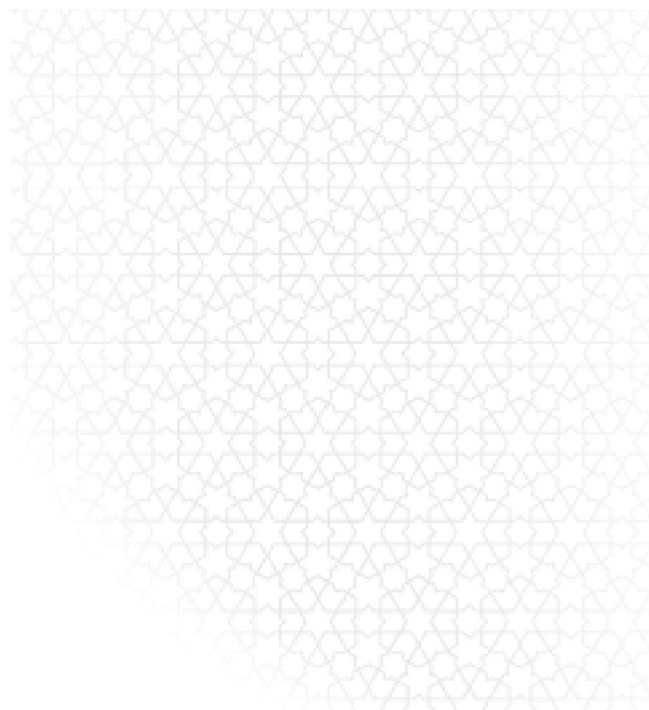


المُلخَص

تناول هذا البحث دراسة مسمى الدين في كتاب الله وبيان دلالة القرآن العظيم على مفهوم هذا المسمى وبيان الاتفاق والافتراق بينه وبين مسميات: الملة والشريعة، كما تناول دلالاته على دين الأنبياء عليهم السلام، وصلته بالإسلام. وقد سلك هذا البحث منهج التأصيل والاستقراء لأدلة القرآن الدالة على مفهوم الدين، مع الدراسة النقدية للمفاهيم الخاطئة. وقد سعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية: عناية القرآن بمسمى الدين ووضوح دلالاته ومفهومه، توضيح المفاهيم الخاطئة لمسمى الدين في القرآن والجواب عليها. كما توصل البحث إلى النتائج التالية: أن مسمى دين الأنبياء عليهم السلام هو الإسلام، سموه بهذا في ألفاظهم وكلامهم، ولم يكن لهم مسمى غير هذا، وبطلان نسبة أي مسمى آخر غير الإسلام إلى الأنبياء، وأن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وما يقوم على هذا الأصل العظيم من أسس ومبادئ، وأن اختلاف شرائع الأنبياء والرسول لا يناقض هذه الدلالة وهذا المفهوم كما دل عليه الكتاب العظيم، وأن منشأ المفاهيم الخاطئة هو بسبب الانحراف في مفهوم مسمى الدين في كتاب الله تعالى ودلالاته على الإسلام، وأنه ينبغي عناية الدراسات الشرعية المقارنة في مسمى الدين.

الكلمات المفتاحية: مسمى، الدين، الإسلام، الأديان، الأنبياء.





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أما بعد:

فإن الله ﷻ جعل القرآن العظيم هدى للناس من بعد إنزاله على
محمد ﷺ إلى قيام الساعة، في لفظه ومعناه، ودلالته ومبناه، فهو هدى للناس
في المقاصد والقضايا والأحكام والإرشادات والقصص والأمر والنهي وما
حواه من المعارف والعلوم.

وإنَّ من أعلى المقاصد والمعاني التي جاء بها القرآن العظيم العبودية
له ﷻ وأنها الدين الذي نزلت به الكتب وأرسلت من أجله الرسل، فأوضح
القرآن مسمى الدين عند الله تعالى وبين مفهومه والدلالة عليه، كما بين بطلان
غيره من المفاهيم المخالفة لمدلول الدين عند الله تعالى.

إن لفظ الدين ودلالة القرآن عليه تكمن في عدد وروده في القرآن
وسياقاته والمعاني التي جاء بها، وقد ورد لفظ الدين في القرآن الكريم في
اثنتين وتسعين موردًا، في أربعين سورة من القرآن، خمس وعشرون مكية ورد
فيها سبعة وأربعون موردًا، وخمس عشرة مدنية ورد فيها خمسة وأربعون موردًا.

إنَّ قضية الدين الحق والأديان الباطلة التي أوضحها القرآن قضية ذات
مدلول واضح ومقصد شريف سام، كرره الله سبحانه في كتابه مرارًا، في
إشارات إلى معانٍ ومفاهيم محددة كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾

في عدة مواضع في القرآن، وقال سبحانه في حكمة إرساله محمداً ﷺ خاتم النبيين ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الفتح: ٢٨]، قال الشافعي رحمه الله (وقضى أن أظهر دينه على الأديان فقال ﷺ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)^(١).

كما بين الله سبحانه مفهوم الدين عنده بأنه الإسلام، فجعل معنى الدين هو معنى الإسلام، وحسم مفهوم مسمى الدين فقال سبحانه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ثم أوضح نبينا محمد ﷺ أن الأنبياء دينهم واحد فقال: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)^(٢)، فكان هذا الدين منذ آدم إلى محمد خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً هو دين واحد ذو معنى ودلالة واحدة.

ثم خاطب الله ﷻ أنبياءه بمسمى الإسلام ووصفهم به، وهم خاطبوا أقوامهم بهذا المسمى الذي يعنون به الدين وأن الدين الذي جاءوا به هو الإسلام، كل ذلك في آيات كثيرة متضافرة في كتاب الله تعالى.

وإذا كانت مسميات الدين والأديان محدودة في العلم الحديث اليوم وعند علماء علم الأديان وعلم مقارنة الأديان الوضعيين فإن هذه المسميات محدودة في خطاب الشرع، مبنية بوحى السماء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد جاء هذا البحث ليتناول مسمى الدين ومفهومه في كتاب الله ﷻ، وتسميته على دين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالإسلام، وبيان الأدلة على ذلك، ورد

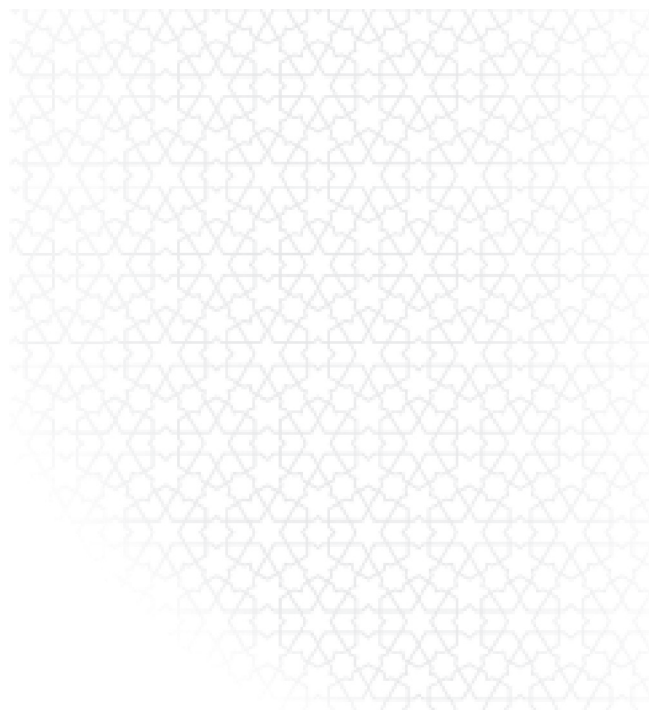
(١) الشافعي محمد بن إدريس، الأم (٣٦٢/٥).

(٢) متفق عليه؛ صحيح البخاري (١٦٧/٤) رقم (٣٤٤٣)، وصحيح مسلم (٩٦/٧) رقم (١٤٥).

المفاهيم الدخيلة في هذا المفهوم، فكان عنوانه: (مسمى الدين في القرآن العظيم، مفهومه ودلالته على دين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، دراسة تأصيلية نقدية).
والله أسأل أن يكتب لي فيه التوفيق في التحقيق، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يؤمّ بنا سمت الحق وقصد السبيل.

والحمد لله رب العالمين





خطة البحث

تتكون خطة البحث من تمهيد ومبحثين وخاتمة:

التمهيد: تعريف كلمة الدين

المبحث الأول: مفهوم الدين في القرآن العظيم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة القرآن العظيم على أن الدين واحد.

المطلب الثاني: دلالة القرآن العظيم على معاني: الدين والملة والشريعة، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاتفاق والافتراق بين معنى الدين والملة في القرآن العظيم.

المسألة الثانية: الاتفاق والافتراق بين معنى الدين والشريعة في القرآن العظيم.

المبحث الثاني: دلالة القرآن على مسمى دين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفيه مطالب:

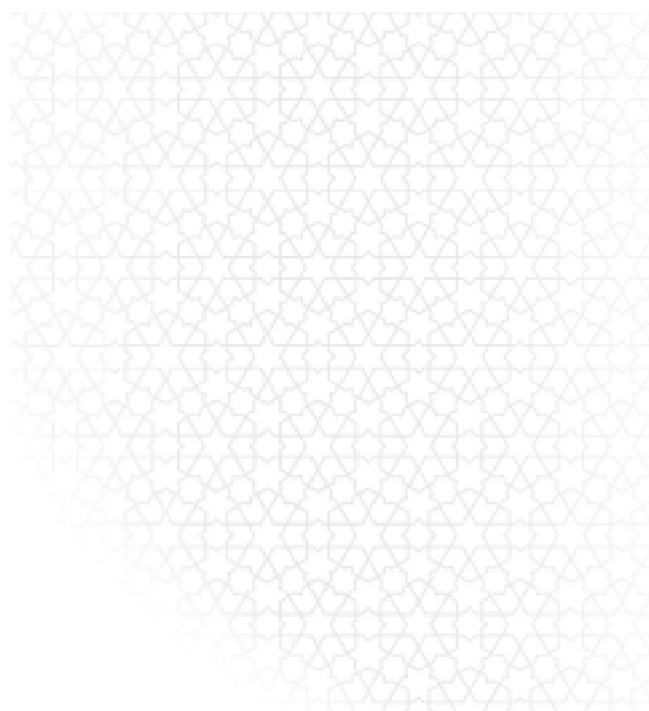
المطلب الأول: دلالة القرآن على أن مسمى دين الأنبياء هو الإسلام.

المطلب الثاني: دلالة القرآن على نسبة الشرائع للأنبياء.

المبحث الثالث: فهم العلماء والأئمة لمسمى الدين في القرآن.

المبحث الرابع: المفاهيم الفاسدة المبنية على مخالفة مفهوم الدين في القرآن.

الخاتمة



التمهيد

تعريف كلمة الدين

أولاً: كلمة الدين في اللغة^(١):

الدين في اللغة مصدر لفعل دان الثلاثي، وهو في دلالته اللغوي يفيد عدة معان ذكرها اللغويون، وأجمع هذه المعاني التي هي مقصود الدراسة ما كان على معنى **الذل والتعبد**، تقول: دان ويدين وأدين به أي **أخضع له ذلاً وتعبدًا**^(٢). وقد جاء مدلولها بمعانٍ أخرى وهي باختصار:

١ - الطاعة، تقول دنته ودنتُ له أي أطعته^(٣).

٢ - العادة والشأن، تقول ما زال ذلك ديني أي عادتي^(٤).

٣ - الحكم والقضاء، ومنه قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، أي في حكمه وقضائه، ومنه اسم الديان أي الحاكم والقاضي^(٥).

(١) من البحوث المفردة في هذا الباب بحث: لفظ الدين في اللغة والقرآن الكريم دلالة وإعراباً، د. عبد الله أبو نظيفة، نشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد ١٥ صفر ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، الجامعة الإفريقية.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: مادة دين.

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١٦٩/١٣).

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ص ١٢٠٧).

(٥) لسان العرب (١٦٦/١٣)، القاموس المحيط (ص ١٢٠٨).

٤- الجزاء والحساب والمكافأة، ومنه سُمِّيَ يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب^(١).

وأما عن اشتقاق هذه الكلمة فهي عربية بلا شك، لكن ذكر بعض الباحثين أن أصل هذه الكلمة انحدرت عند العرب من اللغة الأكديّة^(٢)، ودين في اللغة الأكديّة تعني القضاء والحساب، وهي مترجمة من كلمة (أور) السومرية. ومنهم من يذكر أن كلمة دين جاءت من اللغة الآرامية (دينو)، كما ذكر بعض المستشرقين أنها انحدرت من كلمة دينا الفارسية. وهذه التمحلات كلها تخالف الجذر العربي الذي دل على المعاني اللغوية السابقة، فهي كلمة عربية صحيحة^(٣).

ثانيًا: تعريف الدين اصطلاحًا:

يذكر كثير من الباحثين والمهتمين بعلم الأديان تعريفات مصطلحة لكلمة الدين، محاولين بذلك أن تشمل هذه الكلمة على المعنى الواقع للأديان، وأن تعطي المعاني الدقيقة الجامعة لمفهوم الأديان.

وقد عرف الدين باحثون عرب ومستشرقون بعدة تعريفات، وأطالوا في شرحها وبيانها، لكن أذكر أهم التعريفات بحسب أهمية ما ذكروا:

١- منهم من عرفه بأنه: الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي، وهذا تعريف أكثر المسلمين^(٤)، وهذا التعريف متعلق بالدين الذي مصدره من السماء، بينما الأديان الوضعية لا يصح أن توصف بأنها دين.

(١) لسان العرب (١٣/١٦٩)، القاموس المحيط (ص ١٢٠٨).

(٢) الأكديّة لغة قديمة من اللغات التي كانت في بلاد الرافدين، وهي من اللغات السامية.

(٣) انظر علم الأديان، خزعل الماجدي (ص ٢٥) وقد صنع جدولاً بمداول هذه الكلمة في اللغات القديمة والحديثة.

(٤) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف (ص ٩).

٢- وعرفه إيمانويل كانط^(١) بأنه: المشتمل على الاعتراف بواجباتنا كأوامر إلهية، وهذا تعريف أخلاقي صرف^(٢).

٣- وعرفه ماكس مولر^(٣): محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، وهو التطلع إلى اللانهائي، وهو حب الله، وهذا تعريف الإله وليس الدين.

٤- وعرفه ميشيل ماير بأنه: مجموعة الوصايا والعقائد التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله والناس وأنفسنا^(٤).

وهناك تعاريف كثيرة لدى علماء الأديان، صاغها كل واحد بحسب رؤيته للدين وأصله وصلته بغير الدين، وهذه التعاريف لا شك أنها تعطينا فهمًا لواقع الدين عند البشرية، بينما الحقيقة التي نلتمسها من مفهوم الدين هو مرتبط بالجامع المشترك بين هذه الأديان من حيث كونها دين، ولهذا يرى فضيلة الدكتور سعود الخلف أن أرجح التعريفات التي يمكن أن تجمع الوصف الواقع للأديان أيًا كانت أن يقال:

الدين: هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبة.

وهذا التعريف (فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقاً وهو الله ﷻ، أو معبوداً باطلاً وهو ما سوى الله ﷻ). كما يشمل أيضاً العبادات التي

(١) فيلسوف ألماني من عصر التنوير، اهتم بنظرية المعرفة، وهو يمثل الاتجاه المثالي في الفكر الغربي، له مؤلفات في نقد العقل، توفي سنة ١٨٠٤ م. انظر موسوعة أعلام الفلسفة، بدوي (ص ٢٥٣).

(٢) الدين في حدود مجرد العقل، إيمانويل كانط (٢٤٣).

(٣) فيلسوف إنجليزي ألماني المولد، من عصر الحداثة الغربي، عالم لغوي وآثاري، له اهتمام بمقارنة الأديان، توفي سنة ١٩٠٠ م، انظر موسوعة أعلام الفلسفة (ص ٢٣٤).

(٤) انظر في هذه التعريفات: علم الأديان، الماجدي، مصدر سابق (ص ٢٧).

يتعبد الناس بها لمعبوداتهم سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أولها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية. أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوكية، والبوذية، وعموم الوثنيات. كما يبرز التعريف حال العابد إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة، إذ أن ذلك أهم معاني العبادة.

ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً، لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة^(١).



(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص ١٠ - ١١).



المبحث الأول

مفهوم الدين في القرآن العظيم

يتناول هذا المبحث كلمة الدين في القرآن من حيث دلالاته على المعنى المقصود من معنى التدين، وهل الدين في دلالة القرآن يكون متعددًا على مراد الله تعالى، مع بيان علاقته بكلمة الملة وكلمة الشريعة، وبيان صلة الدين بكلمة الإسلام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

دلالة القرآن العظيم على أن الدين واحد^(١)

جاء القرآن العظيم في خطابه للناس بأن الدين الحق هو دين واحد، وتعددت سياقات القرآن في تحقيق هذا المعنى، والدلالة عليه لفظاً ومعنى، وأن ما ينبغي أن يدين الناس به هو دين واحد، وإليك الآيات التي دلت على هذا المعنى المقصود:

أولاً: اصطفى الله ﷻ الدين للناس، والاصطفاء لا يكون إلا لمفهوم

- (١) صنّف عددٌ من العلماء والمؤلفين مؤلفات وكتباً في تقرير مفهوم أن الدين عند الله واحد وهو دين الأنبياء جميعاً ودلالة القرآن والسنة على ذلك، ومن هذه المصنفات:
- ١- قاعدة في توحيد الملة وتعدد الشرائع، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت ٧٢٨هـ. في المجلد ١٩ في المجموع.
 - ٢- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تأليف الإمام محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ.

ومن كتب المعاصرين:

- ٣- دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل، تأليف محمود أبو رية.
- ٤- الأصول العامة لوحدة الدين الحق، تأليف وهبة الزحيلي.
- ٥- دعوة التوحيد، محمد خليل هراس.
- ٦- الحقائق المشتركة بين رسل الله في القرآن الكريم، السيد أحمد سويلم علي، رسالة ماجستير.
- ٧- رسالات الأنبياء دين واحد وشرائع عدة، عبدالرحمن حللي، وهو من أجود هذه الكتب المعاصرة.

واحد من مفاهيم متعددة ومعنى واحد من معاني متباينة، واختيار من متعدد، والاصطفاء يدل على أخذ ما صفا من الشيء واختياره^(١). فالآيات التي دلت على اصطفاء الله هذا الدين للناس دلت على أنه دين واحد غير متعدد، كما قال ﷺ: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، اصطفى الدين أي اختاره لكم ديناً واحداً.

ثانياً: إخبار الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ أن هذا الدين الموحى إليه هو الدين والوحي الذي أوحاه الله إلى الأنبياء من قبله، وقد جاء ذلك في عدة آيات من القرآن منها:

- ١- قوله سبحانه: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، فإيمان محمد ﷺ بما أنزل على الأنبياء دليل على أن دينهم واحد.
- ٢- قوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وإذا كان الوحي هو أساس الدين ومبدؤه من الله تعالى، ففي هذا إفادة صريحة بأن دينهم واحد.
- ٣- قوله سبحانه لنبيه ﷺ إن ما يقال لك من الأمر والنهي والتشريع والقصص وغير ذلك هو قد قيل جنس ذلك لمن قبلك من الأنبياء والرسل كما قال سبحانه: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣].
- ٤- أمر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ أن يقول للناس أنه ليس أول من جاء بهذا الدين ولا أول من بُعث به كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحزاب: ٩].

ثالثاً: خاطب الله سبحانه المؤمنين بأن يقولوا آمناً بما أنزل على محمد

(١) الكلبيات، الكفوي (ص ١٣٠)، لسان العرب (٤/ ٢٦٦).

وعلى ما أنزل على الأنبياء من قبل من الدين فقال سبحانه ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، أي قولوا أيها المؤمنون بأنكم تؤمنون بدين محمد الذي نزل علينا وما نزل على الأنبياء من قبل، وهو دين واحد، وهم في هذا تبعٌ لنبينهم ﷺ الذي قال هذا كما في آية آل عمران.

رابعاً: الإخلاص للدين دليل على معنى التوحيد فيه وأن الدين الذي وقع عليه الإخلاص معنى واحد، وحقيقة واحدة غير متعددة، فالآيات التي دلت على الإخلاص في الدين دليل على ذلك كما قال سبحانه ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، فالإخلاص في هذا الدين لله تعالى لا يتعدد ولا ينقسم، وقال سبحانه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [١] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]، أي أنزل إليك يا محمد الكتاب بالحق فوحد هذا الدين لله خالصاً^(١)، وهذا يعني أن الدين الذي توجه له الإخلاص غير متعدد وغير منقسم.

وقال في حق من حاد عن الدين وأشرك بالله ثم تبين له الحق: ﴿حَقَّقْ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢] وقال سبحانه في هذا المعنى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

خامساً: نهى الله ﷻ عن التفرق في الدين دليل على أن الدين عند الله واحد؛ معنى ومفهوماً وتطبيقاً كما أمر الله أنبياءه فقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ

(١) تفسير الطبري (٢١/٢٤٨).

مَنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١٣﴾ [الشورى: ١٣]، فأمر الله لأنبيائه ألا يتفرقوا في مفهوم الدين ولا تطبيقه ولا الامتثال إليه دليل على وحدانية هذا الدين كما هو دليل على أن دينهم واحد وسيأتي الكلام على هذه الآية.

سادساً: في نسبة الدين إلى الذات المتدنية إشارة إلى معنى الأفراد والتوحيد، وأن الدين اعتقاد واحد ومفهوم واحد في التدين لله رب العالمين، كما أمر الله نبيه أن يقول للناس: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، وكما جاء في قوله تعالى وكما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

سابعاً: إضافة الدين إلى كلمة الحق دليل على معنى التوحيد والأفراد لمقابلة الباطل بالحق، والإضافة تقتضي التخصيص، والتخصيص هنا محمول على معنى الدين الحق من بين الأديان الباطلة، فكان ديناً واحداً، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وجاءت هذه الآية في سورة الفتح آية ٢٨ والصف آية ٩ أيضاً، واختلف أهل العلم في المراد بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فقيل: أي يُطْلَعُهُ على أحكامه ومعانيه، وقيل أي ينصره بدين الحق على الدين الباطل وسائر الملل، وقيل: ذلك عند خروج عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيكون الناس دينهم واحد^(١).

ثامناً: الإشارة إلى الدين باسم الإشارة المفرد يدل على معنى الأفراد بالدين وأنه دين واحد كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقوله جل شأنه: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

تاسعاً: المقابلة في القرآن بين دين الله الذي أنزله على أنبيائه ودين

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٢١٤-٢١٦).

الكفار المخالفين، حيث دلت هذه المقابلة على أفراد الدين على مراد الله سبحانه وأنه دين توحيد ومعنى واحد لا معانٍ متعددة، كما قابل سبحانه تعالى دين النبي ﷺ بدين الكفار فقال سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وكذلك في ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وفي قول فرعون خشية أن يبدل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دينهم بدينه فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

عاشراً: إبطال الله ﷻ دين الذين فرقوا دينهم وكانوا مختلفين فيه ومتشعبين به حتى صاروا شيعاً وأحزاباً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] دليل على أن مراد الله في الدين هو التوحيد والإفراد، وأنه صراط واحد، لا تعدد ولا تفرق في مفهومه ومبناه. بل أمر أنبياءه ﷺ ألا يتفرقوا في هذا الدين فقال سبحانه: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

هذه عشرة أوجه تُبين أن الدين عند الله تعالى واحد وأنه من الله ﷻ للناس بمعنى واحد، فهو دين التوحيد والإفراد لله ﷻ، لا أديان متعددة ولا مفاهيم مختلفة تكون داخلة في اسم الدين، وكتاب الله تعالى غني بالآيات التي تفيد بهذه الدلائل.



المطلب الثاني

دلالة القرآن العظيم على معاني:

الدين والشريعة والملة

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاتفاق والافتراق بين معنى الدين والملة في القرآن العظيم

وردت كلمة الملة في القرآن العظيم باختلاف إضافاتها في خمسة عشر موضعاً، ووردت كلمة الدين في اثنين وتسعين موضعاً كما سبقت الإشارة إليه، وهاتان الكلمتان بينهما علاقة في المعنى والدلالة من ناحية، كما أن بينهما تمييزاً وافتراقاً في الدلالة من ناحية. وقد تكلم أهل اللغة والعلماء في بيان معناهما والفرق بينهما، وإليك كلامهم ثم بيان الترجيح فيما أراه في الفرق بينهما:

ذكر المتقدمون من أهل اللغة كابن دريد في الاشتقاق^(١)، والجوهري في الصحاح^(٢)، والأزهري في تهذيب اللغة^(٣) إلى أن الدين بمعنى الملة، وعلى هذا جرى من بعدهم، قال ابن سيده: ﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: الأمة القيمة، أو الملة القيمة^(٤)، ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: (ومن المجاز في استعمال الملة بمعنى الطريقة المسلوكة، ومنها ملة إبراهيم حنيفاً،

(١) الاشتقاق، ابن دريد (١/٣٩٨).

(٢) الصحاح، الجوهري (مادة ملل).

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري (١/٢٥٦).

(٤) المحكم، ابن سيده (٦/٥٩٣).

وامتل فلان ملة الإسلام^(١)، وقال ابن الأثير: (الملة: الدين، كملة الإسلام، والنصرانية، واليهودية)^(٢) وقال الفيروزآبادي في القاموس: (الملة بالكسر الشريعة أو الدين)^(٣).

وظاهر هذا التعريف السابق أنه لا فرق بين الملة والدين، وأنها من الألفاظ المترادفة، لكن الراغب الأصفهاني بيّن ما بين الكلمتين من الاتفاق والافتراق فقال: (الملة كالدين، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ الذي تسند إليه نحو: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨] ولا تكاد توجد مضافة إلى الله، ولا إلى آحاد أمة النبي ﷺ، ولا تستعمل إلا في حملة الشرائع دون آحادها، لا يقال: ملة الله، ولا يقال: ملتي وملة زيد كما يقال: دين الله ودين زيد، ولا يقال: الصلاة ملة الله. وأصل الملة من: أملت الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ...﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وتقال الملة اعتبارًا بالشيء الذي شرعه الله، والدين يقال اعتبارًا بمن يُقيمه إذ كان معناه الطاعة^(٤).

هنا يُفرق الراغب الأصفهاني في أن الملة تضاف إلى الأنبياء وحملة الشرائع دون غيرهم بخلاف الدين فلا ينسب إلا إلى الله تعالى، لكنه لم ير إضافة الملة إلى الأقوام والأمم، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فأضاف الملة إلى أمة اليهود والنصارى، وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٠] إضافة إلى ملة القوم الكافرين، وفي قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أضاف

(١) أساس البلاغة، الزمخشري (٢/ ٢٢٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤/ ٣٦٠).

(٣) القاموس المحيط (١/ ٥٣).

(٤) المفردات (٧٧٣).

ملة قومه الكافرين إليهم فقال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧] كما أضاف نفسه إلى ملة آبائه الأنبياء. وقال قوم شعيب له ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ أَكْرِهِينَ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ بَخَّصْنَا اللَّهُ مِنهَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

فالملة تُنسب إلى الأقوام والأمم كما يُنسب دينهم الذي دانوا به إليهم، فنقول: ملة النصارى ودين النصارى، وملة المجوس ودين المجوس.

وذهب الأديب اللغوي الشيخ محمود شاكِر إلى رأيٍ فيه تفاصيل دقيقة، حيث يرى أنَّ كلمة الدين جاءت في القرآن لمعانٍ في العهد المكي ليست هي المعاني التي دلت عليها في العهد المدني، ففي العهد المكي جاءت بمعانٍ: الطريقة والسيرة ثم انتهت إلى معنى الطاعة والخضوع لله تعالى وحده، ثم كان في العهد المدني بمعنى العبادة لله تعالى واكتمال الدين وشرائعه الذي هو الإسلام. كما قرر أنَّ الله لم يُسمِّ ما كان عليه أهل الجاهلية في دينهم من العرب واليهود والنصارى ديناً بالمعنى الذي يفهمه الناس بل سماهم ملةً، ولم يرد تسميتهم بالدين، وذكر أنَّ ما ورد في سورة الكافرون: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] هو بمعنى العبادة والخضوع والطريقة التي أنتم عليها؛ لكم طريقتكم ولي طريقتي، وأوضح ذلك بقوله (فبِقَيْنٍ لَا يُسَمِّي اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ «دِينًا» بِالْمَعْنَى الْجَامِعِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ فِي مِلَّتِهِمْ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَبِقَيْنٍ أَيْضًا لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ يَوْمئِذٍ قَدْ اكْتَمَلَ بَيَانُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ كَانَ فِي أَوَّلِهِ، لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَمْرُ التَّوَجُّهِ بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ دُونَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي جَعَلُوهَا لِلَّهِ شُرَكَاءَ وَتَعَبَّدُوا لَهَا لِتَقْرِبَهُمْ إِلَى اللَّهِ رُفَى).

ومما قال **رحمته الله**: (وَإِذْنٌ فَلَفِظَ الدِّينَ فِيمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ هَذِهِ الْمَعْنَى، فَلَمْ يُسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ عِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ أَهْلِ الْكِتَابِ دِينًا بِالْمَعْنَى الْجَامِعِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ، وَلَمْ يُسَمِّ الْإِسْلَامَ نَفْسَهُ فِيمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ

دينًا، بهذا المعنى الجامع، لأن جميع شرائع الإسلام لم يتم نزولها وقضاؤها إلا في المدينة بعد زمان طويل)، في كلام طويل في هذه المسألة، ينتهي رأيه إلى أن لفظ الدين بمعناه لا يُطلق إلا على الإسلام، وتتبع لفظ الدين في القرآن مقيّدًا أو مخصّصًا في معانٍ محددة حتى يكون بمعناه الكامل للإسلام وحده مستدلًّا بآية آل عمران ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

وهنا وقفات مهمة حول ما وصل إليه الشيخ محمود شاكر في تقريراته هذه:

أولاً: ينطلق الشيخ محمود شاكر في هذه التقارير من أن الدين في العهد المكي كان مجرد الخضوع والعبادة، وأن لفظة الدين مرتبطة باكتماله في أمره ونهيه وشرائعه، ومنه كانت تسمية الدين في العهد المدني صحيحة كما جاء في آية المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾ [المائدة: ٣] وهذا المنطلق فيه نظر؛ حيث لم يكن الدين في العهد المكي مجرد الإقرار في القلب، وخاليًا من معانٍ الدين العملية، فالوحي متتابعٌ على نبينا ﷺ، والصلاة فرضت في العهد المكي^(٢)، والصلوات الخمس فرضت في الإسراء والمعراج، وأمر النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فهذا كله هو الدين. فهو دين جامع بما مكن الله به من معانٍ وأعمال في القلب واللسان والجوارح، فليس الدين في تلك الفترة دينًا في القلب، ومجرد الإقرار والاعتقاد.

ثانيًا: أن الدين في إطلاقات القرآن العظيم معنى شرعي وليس معنى لغوي، فظاهر كلام الشيخ محمود شاكر أنه أراد المعنى اللغوي من الدين

(١) أطال الشيخ محمود شاكر في بيان معنى الدين والملة في كتابه **أباطيل وأسمار** (ص ٤٢٥ - ٤٤١)، وهو مما يستحق أن ينظر فيه.

(٢) وذلك حين سأل هرقل أبا سفيان والحديث في البخاري (رقم ٢٦٨١) قال ابن حجر: (فيه إشارة إلى أن الصلاة فرضت بمكة قبل الهجرة لأن أبا سفيان لم يلق النبي ﷺ بعد الهجرة إلى الوقت الذي اجتمع فيه بهرقل لقاءً يتهيأ له معه أن يكون أمرًا له بطريق الحقيقة). فتح الباري (١/ ٤٦٠).

الذي هو بمعنى الخضوع والتعبد، أو الطريقة والسيرة، وليس الأمر كذلك، فالمشركون على ملة ودين منحرف يتقربون به إلى الله، وجاء محمد ﷺ بما يخالفهم في دينهم التي هي مجموعة اعتقادات، فأُنزل الله تعالى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ وهي آية مكية، فهذا اللفظ لفظ مكِّي جاء على وجه المقابلة بين دين محمد ﷺ ودين كفار قريش وليس مجرد طاعة تقابل طاعة أو خضوع يقابل خضوع.

ثالثاً: أن تسمية الدين ليست مرتبطة بالحق والباطل، بل هي كما قال شاعر نفسه: مفهومٌ (في حيّزه المفرد دون حيّزه المركّب)، فدين النصاري ما يدينون اعتقاداً ويتخذونه ديناً لا عادة دنيوية، وكذلك اليهود والمجوس وسائر الديانات، دون النظر إلى ما تركّب منه الدين.

رابعاً: أنه ما من قيد ذكره الشيخ محمود شاعر إلا وله دليل يخرج عنه في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، وكذلك في معنى ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أنه يوم الجزاء في كل المواضع المكية إلا موضعاً واحداً جاء في سورة مدنية وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] (١).

خامساً: أن الشيخ محمود شاعر حينما قرر أن الملة هي التي تنسب إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية ولم يُسمها القرآن ديناً، فسر الملة بأنهم يدينون بهذه الملة، فلم يخرج عن هذه الكلمة. كما أن الآيات دلّت على نسبة الدين لأهل الكتاب كما سيأتي في الترجيح.

(١) يضاف أيضاً قوله تعالى في سورة المطففين ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾، وهذه السورة مختلف فيها على ثلاثة أقوال: قيل مكية، وقيل مدنية، وقيل نزلت والنبي ﷺ في طريقه إلى المدينة. ورجّح بعض الباحثين المعاصرين أنها مدنية، انظر: **المكي والمدني من السور والآيات**، د. محمد الفالح (ص ٥٠٦ - ٥٠٩).

الراجع في المسألة :

دَلَّ لفظ الدين في كتاب الله تعالى على الدين الحق الذي أراده الله ﷻ وأنزل به الكتب وأرسل من أجله الرسل، كما أضاف الله تعالى في القرآن العظيم كلمة الدين إلى الأديان الباطلة وسماها ديناً وأضافها إليهم كما في قوله تعالى على لسان أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وخاطب أهل الكتاب وقال لهم سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال سبحانه في نسبة دين قوم فرعون لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦]، وقال عن دين مشركي العرب الذين بُعث النبي ﷺ بينهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

والدين الذي جاء به النبي ﷺ وبعث به في مكة هو إبطال عبودية غير الله تعالى وإفراده سبحانه بالعبادة له وحده لا شريك له، ولا أثر لعدم اكتمال شرائع الدين في العهد المكي في أثر دلالة كلمة الدين بين العهد المكي والعهد المدني، فالدين ما يدين به العبد لربه بالخضوع والعبادة له قولاً وعملاً.

وفي القرآن العظيم أريد بالملة الدين، وجاء إضافة الملة إلى ملل الأقاليم والأمم كما في الآيات السابقة وفي قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ [ص: ٧] أي دين قريش وقيل دين النصرانية، وفي الحديث: لما حضرت أبا طالب الوفاة قال له النبي ﷺ: يا عم قل كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب^(١).

وجاء أيضاً إضافة الملة إلى الدين الحق الذي أشار إليه سبحانه ومنها قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

ففي كتاب الله أضيف لفظ الملة ولفظ الدين إلى الأمم والأقاليم، كما

(١) صحيح البخاري (٦/ ٦٩) ح (٤٦٧٥) وصحيح مسلم (١/ ٤٠) ح (٢٤).

جاء بالمعنى الحق الذي أراده الله سبحانه وجاء في مقابل ذلك مما يدين به الأمم والأقوام.

كما أن لفظ الدين جاء في القرآن مضافاً إلى الفرد كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصاً لِّدِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وفي الحديث: (كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها... اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي...) (١)، وفي دعائه ﷺ: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري...) (٢).

وجاء لفظ الملة في القرآن أيضاً مضافاً إلى الفرد وهو إبراهيم عليه السلام في ثمانية مواضع من القرآن العظيم منها قوله تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

وكما أنه يصح أن يقول المرء: ديني الإسلام، فلا مانع من أن يقول ملتي الإسلام، فيصح إضافتها إلى الأفراد والأقوام خلافاً لقول الراغب الأصفهاني الذي حصر إضافتها على حملة الشرائع، لكن في إضافة الملة إلى الله يتوقف النظر، حيث لم يرد في ذلك نص، والله سبحانه أضافها إلى غيره وأما الدين فأضافه سبحانه إلى نفسه كما في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]، وكذا قوله سبحانه: ﴿وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢].

فيترجح بعد هذا والعلم عند الله في الفرق بين الملة والدين: أن الملة تضاف إلى الأفراد والأقوام والأمم التي يجمعها دين واحد وعقيدة واحدة ولا تضاف إلى الله ﷻ فلا يقال: ملة الله، بينما الدين يُضاف إلى الله ﷻ كما يُضاف إلى الأفراد والأقوام، بهذا يحصل الفرق بين الملة والدين في إضافته إلى الله سبحانه.

(١) صحيح البخاري (٥٦/٢) ح (١١٦٢).

(٢) صحيح مسلم (٨١/٨) ح (٢٧٢٠).

المسألة الثانية : الاتفاق والافتراق بين معنى الدين والشرعية في القرآن العظيم

سبق في التعريف اللغوي، وفي المسألة السابقة بيان أن الشريعة والدين بمعنى واحد، وأن الملة هي الدين والشرعية، وسبق كلام اللغويين في هذا، وهذا هو فيما بينهما من الاتفاق في المعنى، لكن بينهما افتراق في الدلالة، وعموم وخصوص في المعنى، فالله ﷻ يقول لأنبيائه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾ [الشورى: ١٣]، شرع لهم من الدين، فالدين تشريع من الله ﷻ، فهو شريعة لأنبياء كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الباقية: ١٨]، فكل نبي جعل الله له شريعة يتبعها، ولا يتبع غيرها، هذه الشريعة هي من الدين، وقرنها الله سبحانه في موضع آخر مع المنهاج فقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن قتادة أنه قال: (قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، الدين واحد، والشرعة مختلفة) وقال أيضًا: (سبيلا وسنة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل)^(١).

فالشرعية أخص من الدين، والدين أعم، والشرعية من الدين، والدين مجموعة شرائع - وسيأتي بيانه في مفهوم الإسلام-، لهذا يُقال: قد شرع لكم في الدين شريعة^(٢). ويقال: الصلاة شريعة، والصلاة دين، فالإضافات للدين من تفاصيل الشريعة باب واسع، ويقال: الدين كذا كحديث: الدين النصيحة، والنصيحة من شرائع الإسلام.



(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٥).

(٢) إصلاح المنطق، لابن السكيت (ص ٨٧).

المبحث الثاني

دلالة القرآن العظيم على مسمى

دين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

تقدم في المبحث السابق تقرير معنى لفظ الدين في القرآن العظيم، ومراده عند الله سبحانه على معنى الأفراد والتوحيد، وأن الدين معنى كليّ واحدٌ ومفهوم لا يتعدد، وبيان أوجه ذلك. ثمّ بعد ذلك بيان العلاقة بين مفردات الدين والملة والشريعة وما بينهما من عموم وخصوص واتفاق وافتراق.

وفي هذا المبحث سيتم بحول الله تعالى الحديث عن معنى الدين عند الله، ومفهوم الدين الذي أنزل الله به الكتب وأرسل من أجله الرسل، وبيان معنى هذا الدين.



المطلب الأول

دلالة القرآن على

أن مسمى دين الأنبياء هو الإسلام

أنزل الله ﷻ القرآن العظيم كتاباً مهيمناً على الناس وعلى الكتب السابقة كما أرسل محمداً ﷺ إلى الناس كافة خاتماً لجميع الرسل، فكان القرآن العظيم ومحمد ﷺ هما خاتمة بيان معنى الدين للبشرية وبه اكتمل فكان الدين للناس كافة.

ومنذ أن خلق الله آدم وجعله أول الأنبياء وأتبعه بالرسل والأنبياء إلى بعثة نبينا محمد ﷺ كان مفهوم الدين الذي حملته رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونزلت به الكتب هو الإسلام، فالدين عند الله سبحانه هو الإسلام، ودين الأنبياء هو الإسلام، خاطبهم الله تعالى بذلك وسماهم مسلمين في نصوص كثيرة، فلم يكن لنبي من الأنبياء أو رسول من الرسل دين غير الإسلام. والإسلام معنى واحد ومفهوم واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام والانقياد له بذلك وهذا هو معنى توحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، يقول ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد بلغت الآيات التي نصّت على أن دين الأنبياء مسمّاه الإسلام وسماهم بمسلمين وتلفظوا بلفظ الإسلام لأقوامهم أكثر من عشرين آية في كتاب الله تعالى، دلت على أن دين الأنبياء هو الإسلام لا دين غيره، فدين آدم ونوح وإبراهيم وسائر الأنبياء هو دين واحد مسمّاه الإسلام وأهله مسلمون،

ابتدأه الله تعالى بآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وختمه بمحمد ﷺ.

وإليك بيان الآيات التي دلت على أن مسمى دين الأنبياء هو الإسلام:

١- قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، جاءت هذه الآية ردًا على من زعم أن من يدخل الجنة هم اليهود والنصارى كما أشارت الآية قبلها، فبين الله سبحانه أن من استسلم لله خاضعًا - وهذا هو أصل الإسلام - فهو الذي يدخل الجنة، وإنما سُمِّيَ المسلمُ مُسلمًا لخضوع جوارحه لطاعة ربه^(١)، فليس دين اليهودية ولا النصرانية في أصله استسلام أو موافقة لدين الإسلام فضلًا عن استحقاق الجنة. ويعضد هذه الآية قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

٢- دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه حين قال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، طلب من الله أن يكون هو وابنه إسماعيل مسلمين، وأن تكون ذريته أمة مسلمة، فجاء بهذا اللفظ في دعائه الخاص له والعام لذريته وأُمَّته، فكان لفظ الإسلام والمسلم هو المسمى الذي يعرف بدين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبنائه وذريته.

٣- أمر الله سبحانه لإبراهيم بأن يُسلم في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، فأجابه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ طاعة وخضوعًا لفظ الإسلام والاستسلام له، وهو بمعنى الآيات السابقة.

٤- في وصية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يكون أبنائه مسلمين، وكذلك وصية يعقوب لبنه بأن يكونوا مسلمين، قال سبحانه: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، قال ابن جرير الطبري: (الذي أوصى به يعقوب بنه، نظير الذي أوصى به إبراهيم بنه:

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥١٠)، الكشف والبيان، الثعلبي (١/ ٢٥٩).

من الحث على طاعة الله، والخضوع له، والإسلام^(١).

٥- إجابة أبناء يعقوب لوصية أبيهم بأنهم مسلمون كما قال سبحانه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] كما أوضح معناها ابن جرير في الآية السابقة.

٦- أَمَرُ الله سبحانه للمؤمنين أن يردوا على اليهود والنصارى حينما قالوا لهم كونوا يهودا أو نصارى تهتدوا فقال الله سبحانه لعباده: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهذه الآية جاءت بعد الآية التي سبقتها وهي قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ففيه الجواب على طلب أهل الكتاب بأن يكون المؤمنون يهودًا أو نصارى فجاء الأمر من الله بهذا الرد وأن يقولوا نحن مسلمون، وهذا فيه إثبات للفظ الإسلام مقابل اليهودية والنصرانية، وسيأتي نظير هذه الآية في سورة آل عمران.

٧- أصرح آية في كتاب الله تعالى في مسمى الدين في القرآن ومراده عند الله تعالى قوله جل شأنه وتقدس: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فالدين عند الله تعالى مسماه الإسلام، فلا يكون غيره من اليهودية أو النصرانية داخلا فيه، قال قتادة في تفسيرها: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بأنها من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله ودل عليه أوليائه ولا يقبل غيره ولا جزى إلا به^(٢).

٨- أَمَرَ الله نبيه محمداً ﷺ بأن يجيب في محاججته لنصارى نجران

(١) تفسير الطبري (٩٤/٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٧٥/٦)، الكشف والبيان (٤٣/٣).

بلفظ الإسلام وأن يأمرهم بأن يُسلموا في قوله **يُزَيِّنُ**: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [آل عمران: ٢٠].

٩- أجاب الحواريون عيسى عَلَيْهِ السَّلَام بمسمى دينهم الإسلام حين رأى عيسى من قومه الجحود والكفر بنبوته فسألهم كما في قوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، قال ابن جرير في هذه الآية: (وهذا خبرٌ من الله ﷻ أن الإسلام دينه الذي ابتعث به عيسى والأنبياء قبله، لا النصرانية ولا اليهودية وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها، كما برأ إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام)^(١). ولهذه الآية نظير في سورة المائدة كما سيأتي كرها.

١٠- أَمَرَ الله نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين في موضع آخر أن يقولوا لأهل نجران النصراني إن تولوا عن دعوته بأنهم مسلمون في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فأمرهم أن يشهدوا لأنفسهم بالإسلام في مقابل النصرانية.

١١- أثبت الله ﷻ لإمام الحنفاء؛ ومن نسب إليه الملة؛ خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام أن دينه الإسلام ومسماه الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية، كما قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فقد أبطل الله في هذه الآية أن تكون اليهودية أو النصرانية ديناً أو مفهوماً أو مسمى لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، فقد برأه الله من ذلك. وفي هذه الآية ردٌّ على من زعم من أحبار اليهود حين قالوا: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وعلى

(١) تفسير الطبري (٦/٤٥٢).

أخبار النصراني حين قالوا: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، وهذا سبب نزولها^(١). كما أن هذه الآية ردٌ على نابتة نبتت في المسلمين حين قالوا إن الإسلام واليهودية والنصرانية ذات معنى ديني واحد كان يعتقده إبراهيم، فسمّوا هذه المعتقدات بالأديان الإبراهيمية.

وهذه الآية تدل على اعتبار القرآن العظيم المسميات ومضمونها وأهميتها في دلالاتها على معانيها. ولا يزال هذا القرآن العظيم حياً بمعانيه ومبطلاً للباطل مهما تجدد وتغير.

١٢ - قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، في هذه الآية قابل الله بين الكفر والإسلام، تقريراً لمسمى الإسلام وأنه دين الله الذي قرره في كتابه.

١٣ - قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، خاطب الكفار بأنهم يبتغون ديناً غير دين الله الذي هو الاستسلام لله تعالى بالإسلام والطاعة، وجاء في الأثر في تفسير هذه الآية: (أما من في السماوات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرها فمن أتى به من سبائا الأمم في السلاسل والأغلال، يقادون إلى الجنة وهم كارهون)^(٢).

١٤ - قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، هذه الآية جاءت بعد الآية السابقة، وفيها بيان أن دين الإسلام هو ما أنزل على إبراهيم

(١) تفسير الطبري (٦/٤٩٣)، تفسير ابن كثير (٢/٥٧).

(٢) جاء الأثر مرفوعاً ولا يصح، انظر المعجم الكبير للطبراني (١١/١٩٤) مجمع الزوائد (٦/٣٢٦).

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وسائر النبيين.

١٥- قال جل شأنه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، وهذه الآية من أصرح الآيات على أن دين الله واحد؛ ومسميه الإسلام، لا دين غيره في الأرض، في الأولين والآخرين. أخرج ابن جرير بسنده عن عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ إلى آخر الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: قل لهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ حُجًّا سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ﴾ من أهل الملل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْمَلَكِينَ﴾ فحجّ المسلمون، وقعد الكفار^(١).

واعتبر فخر الدين الرازي وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الآية هي في معنى الإسلام الذي هو دين الأنبياء جميعاً وليس الإسلام الخاص الذي جاء به محمد ﷺ^(٢).

١٦- قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، في هذه الآية بيان أن الدين هو الإسلام، وأن الإسلام هو ملة إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً عَلَيْهِ السَّلام، يقول الشوكاني في معنى هذه الآية: (أخلص نفسه له حال كونه محسنًا، أي: عاملاً للحسنات واتباع ملة إبراهيم أي: دينه حال كون المتبع حنيفاً أي: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، وهو الإسلام)^(٣).

١٧- قال جل شأنه: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، نزلت هذه الآية في يوم عرفة في حجة الوداع، وليس معنى الرضا

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٧١).

(٢) مفاتيح الغيب (٨/ ١١٠)، مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥).

(٣) فتح القدير (١/ ٥٩٨).

هنا أنه لم يكن راضيًا بغيره قبل هذا اليوم، وقد أورد ابن جرير الإشكال وأجاب عليه فقال: (فإن قال قائل: أو ما كان الله راضيًا بالإسلام لعباده إلا يوم أنزل هذه الآية؟ قيل: لم يزل الله راضيًا لخلقه الإسلام دينًا، ولكنه جل ثناؤه لم يزل يصرف نبيه محمدًا ﷺ وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة، ومرتبة بعد مرتبة، وحالا بعد حال، حتى أكمل لهم شرائعه ومعالمه، وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه، ثم قال حين أنزل عليهم هذه الآية ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ بالصفة التي هو بها اليوم والحال التي أنتم عليها اليوم منه دينًا فالزموه ولا تفارقوه^(١).

١٨- قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤]، هذه الآية من الآيات التي وصفت دين الأنبياء جميعًا بأنه الإسلام، وأنهم أسلموا ودانوا بالإسلام، سواء كان المعنى المراد بالنبيين هو محمد ومن قبله من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهو قول أكثر المفسرين، أو كان المراد أنبياء بني إسرائيل خاصة كما هو قول بعضهم^(٢). وقد ذكر ابن جرير أنها نزلت في اليهود الذين جاءوا للنبي ﷺ في أمر الرجل والمرأة الذين زنيا من اليهود ليحكم بهم ﷺ^(٣).

١٩- قال الحق سبحانه عن إذهاب الحواريين أتباع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، وهذه الآية صريحة في إثبات الحواريين مسمى الإسلام لدين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونفي أي مسمى آخر، فلم يقولوا: واشهد بأننا

(١) تفسير الطبري (٥٢٣/٩).

(٢) الكشف والبيان (٦٩/٤)، البحر المحيط (٥٠٣/٣)، التحرير والتنوير (٢٠٨/٦).

(٣) تفسير الطبري (٣٤٤/١٠)، وانظر صحيح البخاري (٢٠٦/٤) رقم ٣٦٣٥، وصحيح مسلم (١٣٢٦/٣) رقم ١٦٩٩.

نصارى أو غيره بل قالوا إننا مسلمون معنى ومسمى، وليس الأمر مجرد معنى الإذعان والاستسلام. وقد سبق في رقم ٩ الإشارة إلى نظير هذه الآية من سورة آل عمران.

٢٠- قال الله ﷻ عن جواب سحرة فرعون لفرعون حينما آمنوا بما جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، فذكروا لفظ الإسلام والوفاء عليه وهو دين موسى عَلَيْهِ السَّلَام الذي آمنوا به وبما جاء به. وليس لمعنى مجرد الإذعان والطاعة بل هو مسمى دين موسى وأنه الدين الحق، فمعنى توفنا مسلمين أي توفنا على دين الإسلام الذي هو دين موسى عَلَيْهِ السَّلَام.

٢١- قال رب العزة والجلال على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، قال ابن عطية في تفسير الآية: (المعنى فإن لم تقبلوا على دعوتي وكفرتم بها وتوليتم عنها،.. فأنا لم أسألكم أجراً على ذلك ولا مالاً، فيقع منكم قطع بي وتقصير بإرادتي، وإنما أجري على الذي بعثني..، ثم أخبرهم بأن الله أمره بالإسلام والدين الحنيفي الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته والإعداد للقائه)^(١).

٢٢- قال سبحانه على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَام حين دعا قومه فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، قال الزمخشري: (﴿إِنْ كُنتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ﴾؛ صدقتم به وبآياته ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾؛ فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون. ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا نفوسهم لله، أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها؛ لأن التوكل لا يكون مع التخليط)^(٢). وقال ابن عطية (وقوله ﴿إِنْ كُنتُمْ

(١) المحرر الوجيز (٣/١٣٣).

(٢) الكشف (٢/٣٤٦).

مُسْلِمِينَ ﴿ يريد أهل طاعة منضافة إلى الإيمان المشروط، فذكر الإسلام فيه زيادة معنى ﴾^(١).

٢٣- قال الله جَلَّ جَلَالُهُ في حال فرعون لما أدركه الغرق: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]، في هذه الآية أقر فرعون لما أدركه الغرق ورأى الموت حقاً أنه آمن بما آمن به بنو إسرائيل الذين هم المسلمون وهم موسى وأتباعه. سمي فرعون موسى وقومه بالمسلمين ولم يسمهم اليهود، وإنما سماهم بمسماهم الديني وهو الإسلام، وقد استدل ابن تيمية بهذه الآية على أن الإسلام هو مسمى دين الرسل أجمعين^(٢).

٢٤- قال الله سبحانه على لسان نبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن منَّ الله عليه وجاء بأبويه وإخوته: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]، أي أمتني على الإسلام، وهو مسمى دين يوسف الذي كان متبعاً لملة آبائه وأجداده يعقوب وإسحاق وإبراهيم. وجاء عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها: لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه، وعن الضحاك نحو هذا^(٣).

٢٥- يقول سبحانه: ﴿فَالنَّهْكَمُ إِلَهُ وَجِدْ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيَشْرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤]، يرى الألوسي أن الفاء في قوله سبحانه: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته عَزَّ وَجَلَّ، وذلك بعد الإشارة إلى أنه سبحانه جعل لكل أمة منسكاً، فهو الله سبحانه الواحد وله الإسلام^(٤).

(١) المحرر الوجيز (٣/ ١٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى - توحيد الملة وتعدد الشرائع - (١٩/ ١١١).

(٣) التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٦)، تفسير الماوردي (٣/ ٨٥).

(٤) روح المعاني (٩/ ١٤٧).

٢٦- قال تعالى: ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]، هذه الآية من أخص الآيات على وصف دين الأنبياء وبالإسلام وأتباعهم بالمسلمين، أخرج ابن جرير بسنده عن عطاء ابن أبي رباح أنه سمع ابن عباس رضي الله عنه يقول: الله سماكم المسلمين من قبل^(١). وقال البغوي والبيضاوي وابن تيمية وأكثر المفسرين وجماهير العلماء في: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة^(٢). وقال الثعلبي: ﴿هُوَ﴾ يعني الله تعالى ﴿سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾؛ يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا الكتاب؛ هذا قول أكثر المفسرين^(٣).

وفي وصف جامع قال الراغب الأصفهاني في هذه الآية: (ما شرع على لسان إبراهيم كان مبدأ الإسلام، وما شرع على لسان محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الإسلام)^(٤). وقال ابن القيم: (أي الله سماكم من قبل القرآن وفي القرآن فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل إسلامهم وقبل وجودهم)^(٥).

والقول الآخر في المراد بمن ﴿سَمَنُكُمْ﴾ هو إبراهيم عليه السلام، أي في زمانه سمي من يتبعه بالمسلمين، وفي ذلك إشارة إلى قوله وقد سبقت الآية: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]^(٦).

(١) تفسير الطبري (١٨ / ٦٩١).

(٢) معالم التنزيل (٥ / ٤٠٤)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤ / ٨٠)، منهاج السنة (١ / ١٧).

(٣) الكشف والبيان (٧ / ٣٦).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني (٣٤٥).

(٥) شفاء العليل (٢ / ٢٣٤).

(٦) زاد المسير (٣ / ٢٥٣).

٢٧- قال الله سبحانه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، حمل بعض المفسرين هذه الآية على عموم من كذب دعوة الأنبياء إلى الإسلام، كما قال الزمخشري في معناها (وأى الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله) (١).

وذكر بعض المفسرين أن الذي افترى على الله الكذب هم اليهود، وقيل النصراني في دعواهم في عيسى وهو ليس إلا داعية لهم إلى الإسلام (٢).

٢٨- وفي قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته بلقيس ملكة سبأ، حيث دعاها إلى الإسلام وأن تكون من المسلمين كما جاء في عدة مواضع من سورة النمل في القرآن العظيم حيث قال سبحانه: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءَ إِنِّي أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩-٣١]، فقد صرحت بأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد دعاها إلى أن تكون من المسلمين، وهذا مسمى لدين نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ. أخرج ابن جرير بسنده عن وهب بن منبه، قال: كتب -يعني سليمان بن داود- مع الهدهد: بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود، إلى بلقيس بنت ذي سرح وقومها، أما بعد، فلا تعلو عليّ، وأتوني مسلمين، قال: فأخذ الهدهد الكتاب برجله، فانطلق به حتى أتاها، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها، فسجدت لها، فأتى الهدهد الكوة فسدها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم، ثم ألقى الكتاب من الكوة، فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه، فأخذته (٣).

٢٩- ثم كرر الله سبحانه ذلك على لسان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال

(١) الكشف (٤/٥٢٥).

(٢) زاد المسير (٤/٢٧٨).

(٣) تفسير الطبري (١٩/٤٥١).

للملأ من حوله: ﴿قَالَ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]، قيل في معنى مسلمين أي طائعين؛ أي مطلق الطاعة، وليس الإسلام، لأنها لم تسلم وقت مجيئها، وهو محكي عن ابن عباس ورجحه ابن جرير، لكن ساق بسنده عن ابن جريج أنه قال: ((أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ))؛ بحرمة الإسلام فيمنعهم وأموالهم، يعني الإسلام يمنعهم^(١).

٣٠- ثم في إشارة أخرى قال سليمان لما جاءته ملكة سبأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]، ولفظة ﴿مُسْلِمِينَ﴾ هنا جاءت في مقابلة كلمة ﴿كَافِرِينَ﴾ في الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣] فدل على أن مسمى الإسلام في زمن سليمان كان يُقابل مسمى الكفر، ويقول المفسر الألوسي في معنى هذه الآية: (وأوتينا العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحته ما جاء من عنده سبحانه قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام)^(٢).

وقد دخلت ملك سبأ في دين سليمان الذي هو الإسلام فقالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].



(١) تفسير الطبري (١٩/٤٦٣).

(٢) روح المعاني (١٠/٢٠٢).

المطلب الثاني

دلالة القرآن على نسبة الشرائع للأنبياء

تبين لك من خلال عرض الأدلة وبيان تقريرها في المطلب السابق أمران؛ **الأول:** أن الدين عند الله ﷻ هو الإسلام، وهذا الدين هو الذي أرسل الله به جميع الرسل وأنزل به الكتب. **الثاني:** أن الأنبياء كانوا يسمّون هذا الدين بمسمّى الإسلام، فخطبوا أقوامهم باسم الإسلام، وجاءوا بهذا اللفظ، وكانوا يضيفونه إليهم، ويُسَمّون مسلمين، فمسمّى دين الأنبياء هو الإسلام.

ثم لما كانت حكمة الله الاختلاف والتباين في الخلق والأحوال كانت سنّته في أنبيائه أن يبعث في كل أمة نبياً من أنفسهم كما قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وكانت سنة الله في الأمم أن يكون فيهم مكذبون كما قال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥].

والأنبياء الذين بعثهم الله تعالى بدين الإسلام جعل لكلٍ منهم شريعة فيها الهدى والنور والحق والبيان لتلك الأمة؛ الهدى والنور في أوامرها ونواهيها، والحق والبيان في مقاصدها وآثارها، حتى جاء محمد ﷺ بشريعة عامة للناس جميعاً، ناسخة للشرائع قبلها. وقد سبق بيان دلالة القرآن على أن الشريعة تكون من الدين.

والأدلة التي دلت على أن شرائع الأنبياء مختلفة وأفادت أن لكل نبي شريعة من هذا الدين الذي هو الإسلام؛ هي كما يلي:

أولاً: قوله سبحانه: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، هذه الآية صريحة في أن لكل أمة من أمم الأنبياء شريعة وطريقة تختلف عن الأخرى، وقد سبق قول قتادة في تفسير هذه الآية: (الدين واحد، والشريعة مختلفة..) وقال: (للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل)^(١).

ذكر ابن عطية في تفسيره لهذه الآية كلاماً صريحاً في بيان معنى الآية، وأن شرائع الأنبياء كلها في دين واحد، يقول: (واختلف المتأولون في معنى قوله ﷺ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقاتدة وجمهور المتكلمين المعنى لكل أمة منكم جعلنا شريعة ومنهاجا أي لليهود شرعت ومنهاج وللنصارى كذلك وللمسلمين كذلك.

قال القاضي أبو محمد^(٢): وهذا عندهم في الأحكام وأما في المعتقد فالدين واحد لجميع العالم توحيد وإيمان بالبعث وتصديق للرسول، وقد ذكر الله تعالى في كتابه عدداً من الأنبياء شرائعهم مختلفة ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَتْ﴾ فهذا عند العلماء في المعتقدات فقط، وأما أحكام الشرائع فهذه الآية هي القاضية فيها: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٣).

(١) الطبري (١٠ / ٣٨٥).

(٢) أي ابن عطية؛ المؤلف نفسه.

(٣) المحرر الوجيز (٢ / ٢٣٣).

ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآءَاتِنِكُمْ﴾ أي ولو شاء الله سبحانه لجعل كل هذه الأمة على شريعة واحدة كما أنها على دين واحد، ولكن حكمة الله في ذلك أن يجعل لكل أمة شريعة تناسبها في الاختبار والابتلاء، تناسب عصرها وحالتها^(١). وفي هذا المعنى يقول المراغي: (أي لكل أمة منكم أيها الناس جعلنا شريعة أوجبنا عليهم إقامة أحكامها، ومنهاجا وطريقا فرضنا عليهم سلوكه لتزكية أنفسهم وإصلاح سرائرهم من قبل أن الشرائع العملية تختلف باختلاف أحوال الاجتماع وطبائع البشر واستعداداتهم وإن اتفق الرسل جميعا في أصل الدين، وهو توحيد الله والإخلاص له في السر والعلن وإسلام الوجه له)^(٢).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧]، هذه الآيات خطاب للنبي ﷺ في شأن منازعة كفار مكة له في أمر النسك والهدي، وهي آيات دالة في منطوقها على تعدد الشرائع في أهل الملة والدين، فلكل أمة شريعة وطريقة يتعبدون الله بها، فالله تعالى يُخبرنا بذلك، والعبرة بعموم ما دلت عليه الآية في أمر النسك لكل أمة وهي الشريعة والطريقة يتعبدون الله بها^(٣). وحمل جمع من المفسرين - وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما - معنى النسك في الآية على: الشريعة والعبادة، وروى عن ابن عباس أنه العيد، وقيل القربان^(٤).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٩/٢).

(٢) تفسير المراغي (١٣٠/٦).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٧٨/٤).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣٣/٧)، الجامع لأحكام القرآن (٩٣/١٢)،
لباب التأويل في معاني التنزيل (٢٦٤/٣)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن
(٧٨/٤).

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الجمعة: ١٨]، هذه الآية خطاب لنبينا محمد ﷺ بعد أن قصَّ الله تعالى عليه انحراف بني إسرائيل بعد أن آتاهم الله من العلم والبيّنات في الشريعة واختلفوا فيها، وقوله: ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي من الدين؛ آتيناك شريعة من هذا الدين الذي هو دين الله المنزل على أنبيائه فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج^(١).

وأشار ابن جرير إلى هذا المعنى وهو أن المقصود بالأمر في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا^(٢)، أي الدين. فصار المعنى المستفاد من هذه الآية أن شريعة محمد ﷺ وشرائع الأنبياء قبله من الدين الذي هو دين الله الواحد المنزل على أنبيائه وهو الأمر المقصود في الآية.

هذه ثلاثة أدلة صريحة ظاهرة في كتاب ربنا سبحانه أن شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي شرائع ترجع إلى دين واحد، وهي من دين الله تعالى الذي هو الإسلام، وكل شريعة صالحة لزمانها ومن كُلف بها وأحوالهم في الأمر والنهي والكفارات وسائر التكاليف.

شريعة محمد ﷺ هي الإسلام:

لما أنزل الله تعالى شريعته على محمد ﷺ وبعث به بالحق على حين فترة من الرسالات، أراد الله سبحانه أن يختم به رسالات الإسلام للناس، جعله خاتم النبيين، وكانت خاصيته العظمى أن رسالته كانت للناس كافة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال جل ذكره: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وجاء عنه ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يَعْطُوهَا أَحَدٌ قَبْلِي: - ومنها - وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٠٧/٥).

(٢) تفسير الطبري (٧٠/٢٢).

الناس عامة^(١). فكان الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ هو إسلامٌ ناسخٌ لما قبله من شرائع الأنبياء من قبل، فهو إسلامٌ خاصٌ اختصَّ الله به محمدًا ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج^(٢)، وسيأتي تقرير هذا المعنى.

ومسمَّى الإسلام في القرآن اكتمل بشريعة محمد ﷺ، فكانت دلالة مسمَّى الإسلام بعد بعثة محمد ﷺ تحمل معنى خاصًا، ذلك أنَّ النبي من قبل يُبعث إلى قومه خاصة بشريعته المناسبة للملائمة له ولقومه وهي من دين الإسلام، فكانت شريعة محمد ﷺ للناس كافة حاملة مسمَّى الإسلام للناس كافة، فاقترن الإسلام به ﷺ، وهذا من فضائله وخصائصه، فكان أفضل الأنبياء وشريعته أفضل الشرائع.

ويظهر معنى ما سبق في من كان حنيفًا على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أو على شريعة من شرائع الأنبياء وأدرك بعثة محمد ﷺ، فلا إسلام له إلا بالإيمان بمحمد ﷺ وشريعته، ولا يتحقق له وصف الإسلام إلا بالإيمان بالإسلام الخاص الذي جاء به محمد ﷺ.

وقد كان حال الناس مع الإسلام قبل مبعثه ﷺ حالاً بعيدة عن الإسلام، كانوا على فترة من الرسل، وملة منحرفة في الأرض، ولم يكن الإسلام قبل مبعثه ظاهرًا للناس وقائمًا في الأرض، كما أخبرنا سبحانه أنه بعث محمدًا ﷺ على حين فترة من الرسل، وذلك حينما خاطب يهود المدينة فقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية: (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود الذين

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً رقم ٣٣٥،

(١/ ٧٤)، ومسلم كتاب التيمم، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم ٥٢ (١/ ٣٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٣٥ / ٧) الإيمان الأوسط.

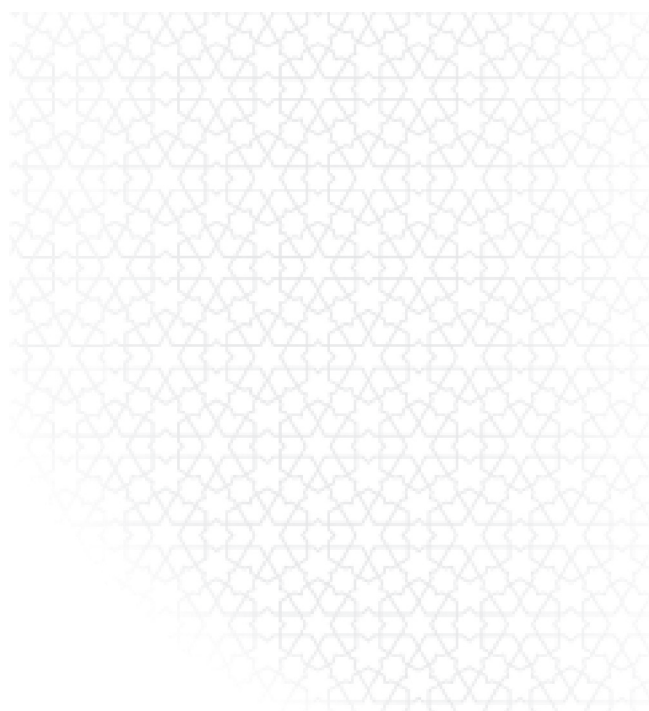
كانوا بين ظهرائي مُهاجِر رسول الله ﷺ يوم نزلت هذه الآية. وذلك أنهم أو بعضهم، فيما ذُكر لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان به وبما جاءهم به من عند الله، قالوا: ما بعث الله من نبي بعد موسى، ولا أنزل بعد التوراة كتاباً^(١). وقد أخبرنا ﷺ أنه بُعثَ على حين فترة من الرسل كما قال في الحديث القدسي: (إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان)^(٢)، وفي هذا إشارة إلى الحالة العامة التي كان عليها الناس قبل مبعثه ﷺ من الانحراف عن الملة الحنيفية ودين الإسلام، وفي قوله (بقايا) إشارة إلى قلة المتمسكين بالإسلام في العدد^(٣).



(١) تفسير الطبري (١٥٥ / ١٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب حديث رقم ٦٣ (١٥٨ / ٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢٤٣ / ٤).



المبحث الثالث

فهم العلماء والأئمة لمسمى الدين في القرآن

سأتناول في هذا المبحث تقرير العلماء رحمهم الله لموضوع البحث والذي يدور حول قضيتين: **الأولى**: أن دين الله الذي أنزله على أنبيائه دين واحد، **والثانية**: أن دين الأنبياء مسمّاه الإسلام.

أولاً: تقارير العلماء أن دين الأنبياء واحد

سبقت الإشارة في المبحث الأول إلى دلالة القرآن العظيم على أن الدين واحد، كما سبقت بعض النصوص التي فسرت بعض الآيات بهذا المعنى كقول قتادة في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ قال: (الدين واحد، والشرعة مختلفة) وقال أيضاً: (سبيلاً وسُنَّةً. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل)^(١).

وكذلك منطوق ومفهوم قوله ﷺ (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)^(٢).

(١) الطبري (١٠/٣٨٥).

(٢) متفق عليه؛ صحيح البخاري (٤/١٦٧) رقم (٣٤٤٣)، وصحيح مسلم (٧/٩٦) رقم (١٤٥).

ومن التقارير المتقدمة في بيان هذه المسألة وتوضيحها وأن دين الأنبياء والاختلاف إنما هو في الشرائع ما قاله أبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ): (إن رسل الله صلوات الله عليهم لم يكونوا على أديان مختلفة، ولم يكن كل رسول منهم يأمر قومه بترك دين الرسول الذي قبله لأن دينهم كان واحداً، وكان كل رسول يدعو إلى شريعة نفسه وينهى عن شريعة الرسول الذي كان قبله لأن شرائعهم كانت كثيرة مختلفة، وذلك قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي على شريعة واحدة وأوصاهم جميعاً بإقامة الدين وهو التوحيد، وأن لا يتفرقوا فيه لأنه جعل دينهم ديناً واحداً فقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿لَا بُدَّ لِلدِّينِ إِلَّا لِلَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

فالدين لم يُبدل ولم يُحوّل ولم يُغيّر والشرائع قد غُيّرت وبُدلت لأنه رُبَّ شيء قد كان حلالاً للناس قد حرمه الله ﷻ على آخرين، ورُبَّ أمر أمر الله به أناساً ونهى عنه آخرين، فالشرائع كثيرة مختلفة وهي الفرائض^(١).

ويقول الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ): (لا منافاة بين ما أتى به الأنبياء من أصول العبادات، وأنهم كنفس واحدة من حيث يتساوى دعاؤهم إلى التوحيد والأركان الثلاث من الشرائع التي هي العبادات الخمس وأحكام الحلال والحرام والمزاجر، وإنما الاختلاف بينهم في جزئيات الأحكام وفروعها كيفما تقتضيه مصلحة قوم وزمان، فكل مصدق للآخر فيما أتى به من أن كليات شرائعهم متساوية، وأن فروعها حق بحسب الإضافة إلى زمان

(١) العالم والمتعلم، أبو حنيفة (ص ١١، ١٢).

كل واحد منهم، وأمته حتى لو كان أحدهم في زمن الآخر لم ير المصلحة إلا فيما أتى به الآخر، ولذلك قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: لو نشر موسى بن عمران لما وسعه إلا اتباعي^(١).

ثانياً: تقارير العلماء أن الإسلام هو مسمى دين الأنبياء

١- يقول فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) مقررًا مسمى الإسلام على أنه الدين الذي أراده الله تعالى: (اعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة: **﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ٨٤]، أتبعه بأن بيّن في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند الله لأن القبول للعمل هو أن يرضى الله ذلك العمل ويرضى عن فاعله ويشبهه عليه ولذلك قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** [المائدة: ٢٧]، ثم بيّن تعالى أن كل من له دين سوى الإسلام فكما أنه لا يكون مقبولا عند الله فكذلك يكون من الخاسرين والخسران في الآخرة يكون بحرمان الثواب وحصول العقاب^(٢).

٢- كثيراً ما يُقرر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) هذه المسألة وهي أن مسمى الإسلام هو تسمية الأنبياء في التعبير عن دينهم وفي إطلاقاتهم، ويُعبّر عنه أيضاً بالإسلام العام، والدين المشترك، فهذه الألفاظ مترادفة في المعنى، وسأذكر هنا أهم النصوص التي ذكرها ابن تيمية في تقرير هذا المعنى المهم:

الأول: يقول **رَحِمَهُ اللَّهُ** في استخدام لفظ الإسلام: (لفظ الإسلام يُستعمل على وجهين: متعدياً كقوله: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾** [النساء: ١٢٥] وقوله: **﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعِيَ فَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾** [آل عمران: ٢٠] الآية،

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/١٦٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٨/١١٠).

وقوله ﷺ في دعاء المنام: أسلمت نفسي إليك^(١).

ويستعمل لازماً كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] وقوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله عن بلقيس: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهو يجمع معنيين: أحدهما الانقياد والاستسلام، والثاني: إخلاص ذلك وإفراده، كقوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]. وعنوانه قول لا إله إلا الله، وله معنيان:

أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء؛ كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

والثاني: ما اختص به محمد من الدين والشرعة والمنهاج - وهو الشريعة والطريقة والحقيقة^(٢).

وله كلام قريب مثل في هذا في معنى آية الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٣).

الثاني: يقول ﷺ في تقرير اسمية الإسلام ديناً للأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام (والإسلام دين جميع المرسلين قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً، رقم ٦٣١١ (٨/ ٦٨)، وأخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء وما يقول عند النوم رقم ٢٧١٠ (٨/ ٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٣٥ / ٧) الإيمان الأوسط.

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٣ / ١ - ١٤).

[يونس: ٧٢]، وقال الله عن إبراهيم وبنيه ما تقدم^(١)، وقال الله عن السحرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وعن فرعون: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠...].^(٢) ثم استدلل ابن تيمية بالأدلة السابقة على أن دين الرسل جميعًا هو الإسلام ويقول أيضًا (فأمرنا بملازمة الإسلام إلى الممات كما أمر الأنبياء جميعهم بالإسلام وأن نعتصم بحبله جميعًا ولا نتفرق ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)^(٣).

وحين يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ الإسلامَ مسمىً لدين الأنبياء يُسميه أيضًا الإسلام العام ويذكر له أصلين اثنين يقوم عليه الإسلام في دين الأنبياء جميعًا وهو في قوله عن النصارى: (كفروا بأصلي الإسلام العام التي هي الشهادة لله بالوحدانية في الألوهية والشهادة للرسول بالرسالة)^(٤)، وفي موضع آخر يذكر له أصولاً أخرى كالإيمان باليوم الآخر والإيمان بالكتب: (وأما الكتب السماوية المتواترة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فناطقة بأن الله لا يقبل من أحد ديناً سوى الحنيفية وهي الإسلام العام: عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان بكتبه؛ ورسله واليوم الآخر)^(٥).

وقال في موضع آخر: (الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

(١) أي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا...﴾ وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وغيرها من الآيات.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١١٢) توحيد الملة وتعدد الشرائع.

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ١١٥) توحيد الملة وتعدد الشرائع.

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٤٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٨).

وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿[آل عمران: ٨٤]﴾^(١).

٣- ويقول ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) بعبارات مقتبسة من ابن تيمية: (وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والإسلام العام: هو دين الله الذي كان عليه جميع الرسل، كما قال نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وأما الإسلام الخاص، فهو دين محمد ﷺ، ومنذ بعث الله محمدا ﷺ لم يقبل من أحد ديناً غير دينه، وهو الإسلام الخاص وجعل بقية الأديان كفراً، لما تضمن اتباعها من الكفر بدين محمد والمعصية لله في الأمر باتباعه^(٢).

٤- ويقول الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): (وقد سُمِّيَ التوحيدُ ودين الحق الخالص إسلاماً في مختلف العصور، وسَمَّى الله به سنن الرسل فحكاه عن نوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هنا وعن إبراهيم بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].. ثم ذكر الآيات التي سبق ذكرها في حكاية سَمَّى الإسلام على لسان الأنبياء جميعاً^(٣).



(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٠).

(٢) تفسير ابن رجب (١/٧٧ - ٧٨).

(٣) التحرير والتنوير (١١/٢٤٢).

المبحث الرابع

المفاهيم الفاسدة المبنية على مخالفة

مفهوم الدين في القرآن

بعد أن تبين لنا في المباحث السابقة مفهوم الدين في القرآن وأن مسمى الدين في القرآن هو الإسلام الذي هو الدين عند الله، وهو الذي أنزله على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فأقاموا الدين في الأرض، كان الانحراف عن مفهوم الدين وعن الدلائل التي جاء القرآن العظيم بها في بيانه سبيلاً إلى مآلات فاسدة في الاعتقاد، ومعانٍ باطلة مفضية إلى إدخال ما ليس من الدين فيه.

هذه المفاهيم الفاسدة جاءت من أقلام غير المسلمين، كما جاءت من أقلام بعض المسلمين ممن تشرب كثيراً من الأفكار والمفاهيم المنحرفة في هذا الأصل العظيم الذي قرره الله سبحانه في كتابه، وهذا عائدٌ إلى أهمية التعلّق بكتاب الله سبحانه ولفظه ومدلول معانيه على وفق فهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام. وهذه المفاهيم هي:

أولاً: مفهوم وحدة الأديان:

لما انحرف العقل عن الفهم الصحيح لمدلول الدين في القرآن العظيم وقع العقل في المعنى الباطل الذي جاء القرآن بخلافه، ومنه هذا المفهوم الباطل وهو: أن الله أنزل أدياناً مختلفة كلها تحمل الحق في تعددها، وهذه الأديان تتعدد مسمياتها، فتكون يهودية أو نصرانية ويعتبرها أدياناً متعددة كلها بمسمى التوحيد، - ومنهم من يتوسع في ذلك ويدخل الزرادشتية ونحوها - على أنها كلها دين واحد، أو تحمل حقاً واحداً وإن تعددت.

ومنشأ هذا المفهوم الباطل قد يكون بمجرد النظر إلى المعبود دون حقيقة العبادة، كالنظر إلى الأديان التي تدين بالله إلهاً وتنسبُ هذا الدين إلى نبيٍّ من أنبياء الله المذكورين في القرآن العظيم كاليهودية والنصرانية، أو مجرد النظر إلى أفراد إله في السماء دون أن تُسمِّي آلهتها باسم الله كالزرادشتية والمانوية. وهذه الفكرة ليست وليدة العصر الحديث، وإنما هي قديمة عند غلاة المتصوفة كالحلاج وابن عربي وأصحاب إخوان الصفا وغيرهم، وقد استمر على هذا الأمر غلاة المتصوفة في العصر الحديث، وبعض الغربيين الذين أسلموا كروجيه جارودي^(١) الذي يطرح نوعين من مفهوم وحدة الأديان: وحدة صغرى متعلقة بالأديان الإبراهيمية الثلاثة، ووحدة كبرى في سائر الأديان^(٢). وإذا ما أردنا أن نحصر الاتجاهات في هذا المفهوم المنحرف فإننا سنجد أنها على مسلكين: مسلك يرى تعدد الأديان واجتماعها في مفهوم التوحيد، ويُسميها الأديان التوحيدية. ومسلك يرى أن الدين واحد عند الله وهو حقيقة يجتمع عليها الإسلام والنصرانية واليهودية ويُسميها الأديان الإبراهيمية.

أ- دعوى الأديان التوحيدية:

مفهوم التوحيد عند مَنْ يطلق هذه التسمية يعني بها تأليه إله واحد في السماء أيًا كان هذا الإله وبعيدًا عن أيِّ معنى آخر في معنى هذا التأليه ودون النظر إلى حقيقة العبودية أو ارتباط هذا الدين بنبي من الأنبياء، حيث يكفي في وصف الدين بالتوحيدي عند أصحاب هذه الدعوى أن يُؤلَّه إلهاً واحدًا

(١) مفكر وكاتب فرنسي نصراني شيوعي، أسلم سنة ١٩٨١ م وجاء بعدة أفكار، منها هذه الفكرة حول وحدة الأديان.

(٢) انظر في تفصيل هذه المسألة والفرق بين وحدة الأديان وتوحيد الأديان ودعاتها في دعوة التقريب بين الأديان دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية د. أحمد القاضي (٣٤٢-٣٣٩/١).

في السماء. وهذا المفهوم عند أصحابه لا يقتصر على اليهودية والنصرانية بل يدخُل في ذلك الأديان التي قبلها، كما قرر ذلك محمد أركون وفراس السواح وغيرهم، وأيضًا ما قرره النصراني العربي جبران خليل جبران.

وبعض المؤرخين في الأديان يرى أن الأديان التوحيدية هي الأصل في حضارات العالم، وهو رأي عالم الأديان النمساوي فيلهلم شميدت (ت ١٩٥٤م)، حيث أطلق تسمية الأديان التوحيدية على الأديان القديمة وأنها هي أصل أديان التوحيد^(١).

وأصحاب هذا الاتجاه يختلفون في عدد الأديان التوحيدية، فمنهم من يجعل المندائية من الأديان التوحيدية^(٢)، ومنهم من زاد في هذا المفهوم الباطل إلى أبعد مدى حيث اعتبر فراس السواح الباحث في الأديان أن أول ديانة توحيدية هي الزرادشتية، وأن زرادشت هو أول موحد، واعتبر أن إبراهيم وموسى عليهما السلام شخصيات أسطورية بين الوجود والعدم، وهو أيضًا لم يدخُل اليهودية في أديان التوحيد، بل اعتبرها بعيدة عن التوحيد، كما اعتبر السواح المانوية من الأديان التوحيدية^(٣)، وهذا كله من الانحراف في مفهوم الدين والتوحيد والعبادة، ومن المفاسد المبنية على مخالفة مفهوم مسمّى الدين على مراد الله تعالى في كتابه العظيم.

ب- دعوى التوحيد في الأديان الإبراهيمية :

ومن المؤرخين للأديان من يحصر الأديان التوحيدية في الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام، كإسماعيل الفاروقي في كتابه ثلاثية الأديان الإبراهيمية، ومحمود أبو رية، وغالب من يُنادي بالتقريب بين الأديان الثلاثة

(١) قرر ذلك في كتابه الكبير: أصل فكرة الله انظر علم الأديان، خزعل الماجدي (ص ٢٣٤).

(٢) ممن قرر هذا المعنى: خزعل الماجدي في كتابه علم الأديان، انظر (ص ٥٥، ٤٢٧).

(٣) صرح بهذا في لقاء أجراس المشرق على إحدى الفضائيات السورية وهو موجود على اليوتيوب، وانظر موسوعته عن الأديان (٧١، ٣٤/٥).

يرى ذلك وعلى رأس هؤلاء روجيه جارودي.

ومنشأ الضلال عند هؤلاء أن هذه الأديان هي الأديان التي تتصل بالكتب السماوية، وتتصل بأنبياء الله موسى وعيسى ومحمد، كما أن مرجعها كلها إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إمام الحنفاء، فهي الأديان التي تمثل التوحيد السماوي، حيث نظروا إلى مجرد انتساب اليهود إلى موسى، وانتساب النصارى إلى عيسى، ولهذا كان السعي إلى التقريب بين هذه الأديان الثلاث أكثر من السعي في غيرها من الأديان.

ثانياً: نسبة الأديان الباطلة إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

وهذا من أشد المفاهيم المبنية على الانحراف الواقع في مفهوم الدين عند الله تعالى، وهو نسبة الأديان الباطلة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كاليهودية إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والنصرانية إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا الخطأ في المفهوم أوسع من سابقه حيث يقع فيه كثير من المسلمين، وإن كان الكثير منهم يرى أن اليهودية والنصرانية قد حُرِّفَت من بعدهم، فالخطأ في هذا المفهوم من جهتين:

الأولى: تسمية دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ باليهودية، وتسمية دين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنصرانية، وهذا من المفاهيم الفاسدة الكبيرة المبنية على سوء فهم القرآن العظيم الذي سَمَّى دين الأنبياء جميعاً بالإسلام، ولم يُسمِ دين موسى باليهودية أو عيسى بالنصرانية، فدينهم هو الإسلام بمعناه العام، ومسمّى دينهم الإسلام، وهو خطأ كبير ينتشر عند بعض المتعلمين أيضاً.

وهنا تأتي أهمية ضبط المسميات وتحرير الألفاظ حتى لا يذهب الفهم إلى المعنى الخاطئ.

الثانية: اعتقاد صحة دين اليهودية ودين النصرانية قبل تحريف بني إسرائيل لهما، وهذا المفهوم الفاسد مبني على المفهوم الفاسد السابق، فمن اعتقد أن اليهودية مسمّى لدين موسى والنصرانية مسمّى لدين عيسى وكان

معلوماً لديه بالاضطرار من كتاب الله أن الله ذم هذين الدينين في القرآن اعتقد بعد هذا أن دين اليهودية والنصرانية كانا دينين صحيحين ثم تحرفا.

وهذا التركيب الفاسد من الفهم كله مبني على سوء فهم كتاب الله تعالى في مفهوم الدين ومعناه ومسميه، والخطأ في فهم كلام الله تعالى الذي أنزل ديناً واحداً وشرائع مختلفة.

لم يكن دين موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** اسمه اليهودية، ولم توصف شريعته في القرآن ولا في السنة بأنها اليهودية، ولم يأت موسى بهذا المسمى لهم، وإنما جاءهم بمسمى الإسلام ودين الإسلام وشريعة الإسلام التي أنزلها الله عليه. واليهودية دينٌ نشأ باطلاً وتأسس على مخالفة دين وشريعة موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الذي هو الإسلام، فلم تكن اليهودية مسمياً لدين موسى، ولا كانت على أساس صحيح يوماً من الأيام، فمن آمن بموسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من بني إسرائيل هم مسلمو بني إسرائيل وهم الذين سمّاهم موسى فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقد سبق توضيح دلالة هذه الآية.

بل إن فرعون لما أدركه الغرق قال: ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] فادّعى أنه آمن مع المسلمين الذين آمنوا بموسى. فمن آمن من بني إسرائيل مع موسى هم المسلمون ولا مسمى لهم إلا الإسلام.

وكذلك القول في عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ودينه الإسلام الذي جاء به، وشريعته التي أنزلها الله عليه ليست هي النصرانية، ولم تكن النصرانية على أساس صحيح بل قامت وتأسست على مخالفة دين وشريعة عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**. وقد سمّى الحواريون أتباع عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أنفسهم بالمسلمين كما مر معنا في الآيات ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَاَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَن ءَاْمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَاْمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

ثالثاً: نسبة أديان اليهودية والنصرانية إلى وحي السماء

هذا المفهوم من المفاهيم الخاطئة الناتجة عن سوء فهم مراد الله تعالى بالدين الحق في القرآن العظيم، فيقع في ذلك فئامٌ من الناس ويقولون: اليهودية والنصرانية دينان سماويان، ومعنى ذلك أنهما من وحي السماء. أو من يقول: أصلهما سماويان، وهذا كله من المفاهيم الخاطئة المخالفة لمعنى الدين الحق الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب.

إن اليهودية والنصرانية دينان تأسسا على مخالفة دين أنبياء بني إسرائيل من موسى وعيسى وغيرهم كداود وسليمان. فهما نشأ على باطل واستوى على باطل. ونسبتهما إلى وحي السماء أو أن أصلهما سماويان باطل أيضاً لأن ما جاء به موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من وحي السماء هو لدينهما وشريعتهما التي شرع الله لهما سبحانه من الحق والهدى والأعمال وليس فيما قررته اليهودية والنصرانية صلة فيما جاء به موسى وعيسى، فهما مخالفتان لما جاء به من الدين ووحى السماء.

والحكم هنا على تسمية هذا الدين وعلى انتسابهما إلى موسى أو عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حتى وإن كان في بعض ما جاء في مقالات اليهود والنصارى شيءٌ من الشرائع ما يكون موافقاً لما جاء به موسى وعيسى، أو في نصوص التوراة والإنجيل الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى اليوم، قد يكون فيها شيءٌ يوافق دين موسى وعيسى، وخصوصاً في التوراة، فإن فيها نصوصاً لها معانٍ صحيحة توافق المعان التي جاء بها الإسلام في القرآن، لكن ذلك لا يُصحح تسمية اليهودية لدين موسى، ولا يصح أن يكون هذا الدين ديناً يُسمَّى بالإسلام الذي جاء به موسى وشريعته، فاليهود والنصارى انحرفوا بهذا الدين جُملةً عن وحي السماء فصار هذان الدينان وما فيهما من مفهوم العبادة والتشريع والأحكام والمسمى الذي سَمَّوه فيهما دينين مستقلين عن دين وشرعة موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

منشأ هذه المفاهيم الفاسدة في معنى الدين:

تنشأ هذه المفاهيم الفاسدة والأخطاء - والتي يقع بها بعض المسلمين

اليوم بل وبعض الباحثين والمتعلمين - من عدة أسباب؛ إليك مجملها:

أولاً: عدم العلم بما دل عليه القرآن العظيم والسنة النبوية من معنى الدين، وهذا هو موضوع هذا البحث كما سبق بيان مباحثه، فمعنى الدين ومراده عند الله وصلته شرائع الأنبياء بدين الله وتسمية ذلك بالإسلام العام، كل هذه الأمور؛ مَنْ انحرف في معناها الصحيح وما دلت عليه انحرف بمفاهيمها من مفهوم التوحيد في الدين ومن نسبة الأديان الباطلة إلى وحي السماء أو الأنبياء أو غيرها من المفاهيم الخاطئة.

ثانياً: النظر إلى بعض الآيات التي خاطب الله تعالى فيها اليهود والنصارى بخطاب فيه ثناء أو تسميتهم بأهل الكتاب أو نحو هذا مما قد يفهم منه المفاهيم السابقة كصحة دين اليهودية والنصرانية أو صلتها بالأصل الصحيح، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا دُخِلَ عَلَيْهِمْ نَجْمٌ مِّنْ آيَاتِهِ إِذَا هُمْ يَنصُرُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]^(١).

والصحيح أن هذه الآيات ومثيلاتها في كتاب الله تعالى ليس فيها الثناء على أهل الملل هذه، وإنما هو ذكرٌ لبعض أهلها ممن صحَّ إيمانه بنبئه قبل مبعث نبينا محمد ﷺ، وجاء التعبير (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ..) أي حقق معنى الإسلام الذي جاء به الأنبياء، وليس الحق أنهم انتسبوا إلى اليهودية والنصرانية. فحملُ

(١) وقد استدل أحد الأكاديميين الفضلاء بهذه الآية على أن اليهودية والنصرانية أصلهما سماويان بل وقال أشد من ذلك: (في الأصل توصف اليهودية والنصرانية بأنهما ديانتان سماويتان، جاء الثناء على أتباعهما في عدة مواضع في القرآن) ثم ذكر هذه الآية، وليس في الآية ما يدل على ما ذكره هذا الأستاذ، كما سيأتي الجواب عليه في الأعلى.

الآيات على الشناء المطلق على أتباع اليهودية والنصرانية والصابئة خطأ شنيع، فالآية قيلت في مَنْ كان إيمانه صحيحاً من أهل ملة اليهود والنصارى قبل محمد ﷺ فأمن بالله حقاً وبالיום الآخر صدقاً كما جاء عن موسى وعيسى - وقد أوضح ابن جرير الطبري هذا المعنى المسلم لمن فهم صراحة القرآن-، فهُمْ الحنفاء من أهل الملل هذه أي الذين لم يُشركوا بالله شيئاً، وقيل في هذه الآية خاصة معنى آخر وهو أنهم مَنْ آمن من أهل هذه الملل بمحمد ﷺ نبياً وبالإسلام ديناً، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما (١).

ثالثاً: انتساب اليهودية إلى موسى وهارون ويوشع بن نون وإلى بعض أنبياء بني إسرائيل، وذكرهم في كتبهم وأسفارهم وعباداتهم والتمسك ببعض ما كانوا عليه في الأماكن أو الأحداث وإيمانهم بأنهم أتباع موسى الذي أنجاه الله من فرعون، وأعطاه التوراة، وأزره بأخيه هارون، وجاء بعده أنبياء من بني إسرائيل، ونحو هذا مما هو صحيح في ذلك، أوقع كثيراً من الناس في هذه المفاهيم الخاطئة من كون اليهودية والنصرانية هي مسمّى دين موسى وعيسى أو أنها ذات تعلق بوحى السماء ونحو هذا من المفاهيم الخاطئة، حتى انتشر بين بعض المسلمين التشكيك في كفر اليهود والنصارى كديانتين، وهذه الدعوى تتم مناقشته في بحوث مستقلة حول الموقف من التوراة والإنجيل التي بين أيدي اليهود والنصارى اليوم، وما هو القدر المحرف منها، وما موقف الإسلام ممن انتسب إليها.

من هذه الأمور الثلاثة -وقد تزيد- نشأت هذه المفاهيم الباطلة المتعلقة بالأديان، خصوصاً ما يتعلق باليهودية والنصرانية ودعوى أن لهما أصلاً صحيحاً يُبقي فيهما معنى التوحيد أو الإيمان الصحيح في أرباب هاتين الديانتين إلى يوم الناس هذا.



(١) تفسير الطبري (٢/ ١٥٠ - ١٥٥)، المحرر الوجيز (١/ ١٣٦).

الخاتمة

بحمد الله تعالى وفضله تم هذا البحث عن: مسمى الدين في القرآن العظيم، مفهومه ودلالته على دين الأنبياء عليهم السلام، وقد تناول البحث هذه المسائل التالية:

أولاً: معنى الدين في اللغة، وتعريفه عند أرباب علم الأديان، وبيان المعنى الصحيح في ذلك.

ثانياً: بيان أن الدين عند الله تعالى واحد ذا معنى كلي واحد لا يتعدد ولا يتناقض، وهو الدين الذي أنزله الله تعالى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيان دلالات ذلك من كتاب الله تعالى.

ثالثاً: بيان الصلة المعنوية بين الدين وبين الملة والشرعة.

رابعاً: أن الأنبياء عليهم السلام دينهم واحد وشرائعهم شتى، هذه الشرائع نزلت مناسبة بحسب أحوالهم وظروفهم، وهذه الشرائع هي متصلة بأصل الدين الواحد.

خامساً: أن مسمى دين الأنبياء هو الإسلام، وقد خاطب الأنبياء أقوامهم بهذا المسمى ولم يخاطبواهم بمسمى آخر، وتم ذكر الأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى وتتبعها وبيان مدلولاتها.

سادساً: الإسلام هو المسمى العام لجميع الأنبياء، وهو ذو معنى خاص في تسمية الدين الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة.

سابعًا: تم ذكر نصوص العلماء المؤيدة لهذا الفهم في معنى الدين ومسماه الإسلام على الدين الذي أنزله الله تعالى على الأنبياء جميعًا.

ثامنًا: بيان المفاهيم الخاطئة والمآلات الفاسدة المبنية على سوء فهم معنى الدين على مراد الله تعالى كاعتقاد صحة دين اليهودية والنصرانية أو بقائها على أصل التوحيد الذي كان عليه موسى وعيسى عليهما السلام، ومثل هذه المفاهيم.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.



قائمة والمراجع

١. أباطيل وأسما، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٥م، القاهرة.
٢. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، محمود باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ، بيروت.
٣. الاشتقاق، أبو بكر بن دريد الأزدي، عبد السلام هارون، دار الجيل، ١٤١١هـ، بيروت.
٤. إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٧٨م، مصر.
٥. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، ٢٠٠١م، مصر.
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ، بيروت.
٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف ابن حيان الأندلسي، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.
٩. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد الأزهرى، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، ٢٠٠١م، بيروت.

١٠. جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن، محمد بن جرير الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، بيروت.
١١. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، ط٤، ١٤٢٥هـ، الرياض.
١٢. دعوة التقريب بين الأديان دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية د. أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ، الرياض.
١٣. الدين في حدود مجرد العقل، إيمانويل كانط، فتحي المسكيني، دار جداول، ط١، ٢٠١٢م، بيروت.
١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥. زاد المسير في التفسير، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت.
١٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري الفارابي، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ، بيروت.
١٧. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، زهير الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
١٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، زهير الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
١٩. علم الأديان تاريخه مكوناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله، خزعل الماجدي، مؤمنون بلا حدود، ط١، ٢٠١٦م، الرباط.
٢٠. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، بيروت.

٢١. الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل، جابر الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ، بيروت.
٢٢. الكشف والبيان في تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد الثعلبي، مراجعة نظير الساعدي، دار إحياء التراث، ط ١، ١٤٢٢هـ، بيروت.
٢٣. الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٤. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن، محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ، بيروت.
٢٥. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، ١٤١٤هـ، بيروت.
٢٦. لفظ الدين في اللغة والقرآن الكريم دلالة وإعراباً، د. عبدالله أبو نظيفة، نشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد ١٥ صفر ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
٢٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ، بيروت.
٢٩. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، عبد الحميد الهنداوي، ط ١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٠. معالم التنزيل في التفسير، الحسين بن مسعود البغوي، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ، بيروت.
٣١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ، القاهرة.

٣٢. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، بيروت.

٣٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ، دمشق بيروت.

٣٤. منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ، الرياض.

٣٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، بيروت.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٥
المقدمة	٧
خطة البحث	١١
التمهيد: تعريف كلمة الدين	١٣
أولاً: كلمة الدين في اللغة	١٣
ثانياً: تعريف الدين اصطلاحاً	١٤
المبحث الأول: مفهوم الدين في القرآن العظيم	١٧
المطلب الأول: دلالة القرآن العظيم على أن الدين واحد	١٨
المطلب الثاني: دلالة القرآن العظيم على معاني: الدين والشرعة والملة	٢٣
المسألة الأولى: الاتفاق والافتراق بين معنى الدين والملة في القرآن العظيم	٢٣
الراجع في المسألة	٢٨
المسألة الثانية: الاتفاق والافتراق بين معنى الدين والشرعة في القرآن العظيم	٣٠
المبحث الثاني: دلالة القرآن العظيم على مسمى دين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام	٣١

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: دلالة القرآن على أن مسمى دين الأنبياء هو الإسلام	٣٢
المطلب الثاني: دلالة القرآن على نسبة الشرائع للأنبياء	٤٤
شريعة محمد ﷺ هي الإسلام:	٤٧
المبحث الثالث: فهم العلماء والأئمة لمسمى الدين في القرآن	٥١
أولاً: تقارير العلماء أن دين الأنبياء واحد	٥١
ثانياً: تقارير العلماء أن الإسلام هو مسمى دين الأنبياء	٥٣
المبحث الرابع: المفاهيم الفاسدة المبنية على مخالفة مفهوم الدين في القرآن	٥٧
أولاً: مفهوم وحدة الأديان:	٥٧
أ- دعوى الأديان التوحيدية:	٥٨
ب- دعوى التوحيد في الأديان الإبراهيمية:	٥٩
ثانياً: نسبة الأديان الباطلة إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ	٦٠
ثالثاً: نسبة أديان اليهودية والنصرانية إلى وحي السماء	٦٢
منشأ هذه المفاهيم الفاسدة في معنى الدين:	٦٢
الخاتمة	٦٥
قائمة والمراجع	٦٧
فهرس الموضوعات	٧١

